الرّحمانيّة والرّحيميّة

القرآن الكريم من أبرز مظاهرهما

المرجع الدّينيّ آية الله السّيّد عبد الأعلى السّبزواريّ قدّس سرّه

تشتملُ الآيةُ المباركة (بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم) على كثير من المعارف الإلهيّة لا سيَّما الصّفات الرّاجعة إلى ذات الباري عزَّ وجلّ، وفي اختيار صفتَي (الرّحمن الرّحيم) ما فيه من البشارة للإنسان من كونه موردَ رحمته وعطفه تعالى، مهما تعدَّدتْ أسبابُ الشّرّ وقويَت. وفيه إرشادٌ إلى تعليم الإنسان لتوخّي الرّحمة والمودّة في أفعاله، وجعْل نفسه من مظاهر رحمته تعالى ليُعرَفَ أنّه مؤمنٌ بالله تعالى، وأن لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال لأنّه المحتاج بعدُ، بل لا بدّ له من إيكال أمره إلى الغنيّ المطلق.

ما يلي، وقفة مع قوله تعالى (الرّحمن الرّحيم) من تفسير (مواهب الرّحمن) للمرجع الرّاحل آية الله السّيد عبد الأعلى السّبزواريّ قدّس سرّه.

(الرّحمن الرّحيم) في قوله تعالى (بسم الله الرّحمن الرّحيم): هما من الرّحمة، ومن مشتقّاتها، ورحمتُه عزَّ وجلَّ أعمّ صفاته وأوسعها، شملت جميعَ ما سواه، قال تعالى: ﴿..وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ..﴾ الأعراف:١٥٦، فكلّ ما يُطلق عليه «شيء» في جميع العوالم يكون من رحمته تعالى.

وإشكالُ أنّ الشّرَّ يُطلق عليه «الشّيء» أيضاً فلا بدّ وأن يكون من رحمته تعالى مردودٌ بأنّه ليس في التّكوينيّات شرّ محض، وإنّما يتحقّق الشّرّ بالإضافة، وأمّا في الاختيارات فإنّ وساطة الاختيار بين الفعل والفاعل تجعل الشّرَّ الفاعلَ فلا يكونُ من رحمته، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..﴾ النساء:٧٩.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ..﴾ لقمان:٢٧، إشارةٌ إلى مظاهر رحمته الواسعة، وقد اعترف الأنبياءُ صلّى الله عليهم، والأئمّةُ عليهم السلام، وجميعُ الفلاسفة المتألّهين بالقصور عن الإحاطة بمراتب رحمته تعالى الواسعة، وإنّ بعض عظمائهم أطال القولَ في أنّ وجودَ كلّ شيء [هو] من رحمته تعالى، وأثبت ذلك بالأدلّة الكثيرة، ومع ذلك، اعترف بالقصور عن دَرْكها.

في دلالة كلٍّ من اللّفظَين

(الرّحمن) و(الرّحيم) من الصّفات المُشبَّهة، إلّا أنّ اللّغويّين والمفسِّرين فرّقوا بينهما بوجوه:

الأوّل: أنّ (الرّحمن) مبالغة، و(الرّحيم) صفةٌ مشبّهة تدلّ على مجرّد الثّبوت. وهذا صحيح بالنّسبة إلى ذات اللّفظين حين الإطلاق على المخلوق، وأمّا من حيث إضافتِهِمَا إلى الله عزَّ وجلَّ فلا وجه للمبالغة بالنّسبة إليه تعالى، لأنّ صفاته بالنّسبة إليه تعالى غير محدودة، فلا تجري المبالغة فيها. نعم، تصحّ المبالغة بالنّسبة إلى «مورد الرّحمة»، على نحو قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا..﴾ الأنعام:١٦٠، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران:٣٧، إلى غير ذلك ممّا ترجع المبالغة فيه إلى المبالغة بالنّسبة إلى المخلوق.

وأمّا ما في بعض التفاسير من أنّ «فَعلان» [وزن الرّحمن] لا يدلّ على الثّبوت بخلاف «فعيل» [وزن الرّحيم]، وإنّما ذَكر تعالى «الرّحيم» لأجل إظهار ثبوت الرّحمة بالنّسبة إليه تعالى [هو، أي ما في هذه التفاسير] مخدوشٌ، لأنّ التّفرقة بين اللّفظين إنّما تصحّ في الممكنات دون الواجب تبارك وتعالى كما عرفتَ.

الثّاني: (الرّحمن) يختصّ بالدّنيا، و(الرّحيم) بالآخرة، لِتَقَدُّم الدّنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنّشآت الزّمانيّة، فيكون المقدَّمُ للمتقدِّم والأخيرُ للمتأخِّر، أو لذكر (الرّحيم) مقروناً بالغفران والتّوبة في جملةٍ من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التّوبة في الآخرة، [فـ] (الرّحيم) مختصّ بها.

والوجهان مخدوشان لا يصلحان حتّى للاستحسان، فإنّ العوالم بالنّسبة إليه تبارك وتعالى في عرضٍ واحدٍ، وإنَّه محيطٌ بالزّمان

والزّمانيّات وخارج عنهما، إلّا أن يُلحَظ ذلك بالنّسبة إلى المخلوق، وقد ورد (الرّحمن) بالنّسبة إلى الآخرة في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ..﴾ الفرقان:٢٦، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ مريم:٨٥.

كما ورد (الرّحيم) بالنّسبة إلى الدّنيا في قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:٢٩، وقد ورد عن الأئمّة الهداة عليهم السلام: «**يا رحمنَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهما**».

الثّالث: أنّ الأوّل [الرّحمن] عامّ للجميع، لقوله تعالى: ﴿..وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ..﴾ الأعراف:١٥٦، والثّاني [الرّحيم] خاصّ بالمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿..بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨، وهذا الوجه أيضاً مردودٌ، فإنّ ذِكْرَ بعض الأفراد وأشرفها لا يدلّ على نفي ما عداه إلّا بالمفهوم، وقد ثبت في محلّه أنّه لا مفهوم للقيد، فراجع.

الرّابع: أنَّ (الرّحمن) ذاتُ الرّحمة الشّاملة لكلّ محتاجٍ إليها، وبجميع مراتبها التّفضّليّة بلا اختصاص لها بنوعٍ دون نوع من الجماد، والنّبات، والحيوان، والإنسان، وسائر المخلوقات، فَلِأجل إهمال المتعلَّق استُفيد العموم والشّمول لجميع الأنواع الممكنة من حضيض الجمادات إلى أوج المجرّدات.

نعم، من أهمّ مصاديق «الرّحمانيّة» تنظيمُ عالم التّكوين بأحسن نظام، ومن أجلّ مصاديق «الرّحيميّة» تنظيم التّشريع بأكمل نظام، و[لأنّ] أثرَ التّشريع إنّما يظهر بالنّسبة إلى المؤمنين العاملين به، اختصّت الرّحيميّة بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيمٌ في الدّنيا بالتّشريع وفي الآخرة بالجزاء عليه.

خلاصة القول

والّذي ينبغي أن يُقال: إنّه لا ريب أنّ جميع ما سواه تعالى موردُ إفاضة الوجود منه تبارك وتعالى، وهذا هو (الرّحمة الرّحمانيّة) الّتي خرج بها ما سواه من العدم إلى الوجود؛ كما لا ريب في أنّ كلّ نوعٍ من أنواع الموجودات مطلقاً، بل كلّ صنف له خصوصيّة لا توجد تلك الخصوصيّة في غيرها، وهي غير محدودة بحدّ، وتنكشف في طيّ العصور ومَرّ القرون، وتلك الخصوصيّات غيرُ المتناهية المجعولة منه تبارك وتعالى موردُ (الرّحمة الرّحيميّة).

فكما أنّ في الإنسان نوعاً خاصّاً منه وهو «المؤمن» موردُ رحمته الرّحيميّة، كذلك يكون في المَلَك، والفَلَك، والجَماد، والنّبات، والحيوان -أيضاً- أصنافٌ خاصّة تكون في الأصناف موردَ رحمته الرّحيميّة، بعد عدم برهانٍ صحيحٍ على اختصاص رحمته الرّحيميّة بخصوص دار الآخرة، كما عرفت.

جميعُ ما سواه سبحانه موردُ إفاضة الوجود منه تبارك وتعالى، وهذه هي (الرّحمة الرّحمانيّة) الّتي خرجَ بها ما سواه من العدمِ إلى الوجود.

وقد ذُكر [الرّحمن الرّحيم] في مفتتح القرآن العظيم للإعلام بأنّ القرآن من أبرز مظاهر رحمتَيه [الرّحمانية والرّحيمية] تعالى، أمّا الرّحمانيّة فلِفَرْض وحيه وإنزاله، وأمّا الرّحيميّة فلأنّه تبارك وتعالى تجلّى لعباده فأظهر فيه المعارف الرّبوبيّة وخلاصة الكُتب السّماويّة وزبدة التّكوين والتّشريع، وربَط به قلوبَ أوليائه.

ثمّ إنّه يظهر من ذكر (الرّحمن) بعد اسم الجلالة في البسملة، وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ..﴾ الإسراء:١١٠، وسائر موارد استعمال هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم أنّ لهذا الاسم الشّريف أهمّيةً عظمى، ومنزلة كبرى عند الله تعالى، فهو من أمّهات الأسماء كالحيّ، والرّبّ، والقيّوم، والرّحيم، وإلى هذه [الأسماء] الأربعة ترجع سائر أسمائه عزّ وجلّ. فإذا رجعنا إلى موارد استعمالات هذا اللّفظ في القرآن الكريم نرى أنّه استُعمل مقروناً بالتّعظيم والتّجليل بالنّسبة إلى عالَمي الدّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ..﴾ مريم:٦١، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ..﴾ الفرقان:٢٦، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الرحمن:١-٢، وقال تعالى: ﴿..مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ..﴾ الملك:٣.

وأمّا (الرّحيم)، فقد ذُكر في القرآن الكريم غالباً مقروناً مع الرّؤوف، والتّوّاب، والغفور. فقد جمع اللهُ تبارك وتعالى في كتابَيه، التّدوينيّ (القرآن) والتّكوينيّ، بين رحمته الرّحمانيّة ورحمته الرّحيميّة، فتكون الرّحمة الرّحمانيّة عامّة لجميع الممكنات، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه:٥، أي استولى، والعرش هنا عبارة عمّا سواه تعالى، والرّحمة الرّحيميّة تعمّ جميع ذوي الكمالات التي أُفيضت عليهم، من المجرّدات إلى الجمادات، فتكون من مظاهر رحمتَيه تعالى، كما عرفت.

﴿.. إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ..﴾

نزول القرآن الكريم باللّغة العربيّة

الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله

«نزلَ القرآن الكريم باللّغة العربيّة دون غيرها من اللُّغات، وهذه الظّاهرة قد يكون سببُها الميزات الّتي تختصّ بها لغة الضّاد، ما يجعلها أشرف اللّغات وأقدرها على استيعاب أوْسع المعاني أو التّعبير عنها، كما يوحي بعض النّصوص، أو تنتهي إليه دراسات علم اللّغات وخصائصها».

قراءة مختصرة في أسباب نزول القرآن الكريم باللّغة العربيّة، نقلاً عن كتاب (علوم القرآن) للشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

أنزلَ اللهُ تعالى القرآن الكريم هدايةً للعالَمين، ومن أجل أن يحدِّد معالم الطّريق لكلّ البشريّة، من غير أن يختصّ بقومٍ دون قوم، أو بزمانٍ دون آخَر، لكنّه مع ذلك أُنزل باللّغة العربيّة، وهي اللّغة الّتي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربيّة، مبعث الرّسول الخاتم صلى الله عليه وآله. ولعلّ مردّ ذلك إلى أنّ الجماعة الأولى الّتي كان يُراد مخاطبتها بالقرآن هم من العرب، وكانت مشيئة الله تعالى أن توجَد ضمن هذه الجماعة القاعدة الّتي ينطلق منها الإسلام، ولولا ذلك لأمكن أن نفترض -والله العالم- نزول القرآن بلغةٍ أخرى.

وقد تطرّق القرآن الكريم في مطاوي آياته إلى تعليل هذه الظّاهرة، مبيّناً جملة من الأسباب «الدّاعية» إلى إنزال الكتاب العزيز باللّغة العربيّة، منها:

أ- اللّغة العربيّة عاملٌ مؤثّر في استجابة العرب الأوائل للقرآن: فلو أنّ القرآن الكريم أُنزل بغير اللّغة العربيّة لكان من الممكن أن لا يَستجيب العربُ لهدايته ونوره، بسبب حاجز (الأنا) والتّعصُّب الّذي كانوا يعيشونه في الجاهليّة، كما تشير إلى ذلك بعض الآيات القرآنيّة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء:١٩٨-١٩٩.

ب- التّفاعل الرّوحيّ: إنّ التّفاعل الرّوحيّ والنّفسيّ الكامل مع الهداية والنُّور والمفاهيم القرآنيّة، إنّما يتحقّق إذا كان الكتاب بلُغة القوم الّذين يُراد إيجاد التّغيير الفعليّ فيهم، لأنّ إثارة العواطف والأحاسيس إنّما تكون من خلال التّخاطب باللّغة نفسها، وأمّا المضمون فهو يتفاعل مع العقل والتّفكير المنطقيّ. ولعلّ هذا السّبب يفسّر السُّنّة الإلهيّة في اختيار الأنبياء من الأقوام المبعوثين إليها، لكي تكون الحجّة بهؤلاء الرُّسل أبلغ على أقوامهم، وحتّى تكون قدرتهم على التّأثير أكبر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ..﴾ إبراهيم:٤.

ج- التّحدّي: يمثّل القرآن الكريم ببيانه وأسلوبه -فضلاً عن مضمونه- معجزةً إلهيّةً خالدة، وهذا الجانب من الإعجاز لا يمكن أن يتحقّق إلّا إذا كان بلغة القوم المُنزَل عليهم، لأنّ (التّحدّي) إنّما يكون مقبولاً إذا كان باللّغة الّتي يتكلّم بها النّاس، وإلّا فلا معنى أن نتحدّى قوماً بكتابٍ ينطق بغير ألسنتهم. وقد كان التّحدّي في هذا الجانب من الإعجاز باعتبار ما كان يوليه ذلك العصر من أهمّيّةٍ خاصّةٍ للبلاغة والبيان، الأمر الّذي كان له أثر كبير في الخضوع النّفسيّ لهؤلاء العرب لبلاغة القرآن الكريم وروعة بيانه. قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:٢٣.

د- اللّغة طريق التّصوُّر الكامل للرّسالة: إنّ التّصوُّر الكامل لأبعاد المضمون واستيعابه بحدوده، لا يمكن أن يتمّ بلغةٍ أخرى للتّخاطب، خصوصاً إذا أخذنا بنَظر الاعتبار أنّ الكثير من المضامين القرآنيّة ترتبط بقضايا وآفاق بعيدة عن تصوُّرات وآفاق الإنسان الجاهليّ المُعاصِر لنزول القرآن، إمّا لارتباطها بعالَم الغَيب، أو لطرحها مفاهيم عقائديّة أو اجتماعيّة وإنسانيّة تمثّل طفرة في النّظرة المحدودة لذلك الإنسان، ولطبيعة العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة السّائدة آنذاك. ولعلّ تأكيد القرآن وصفه باللّسان العربيّ إنّما هو باعتبار الإشارة إلى أهمّيّة لغة التّخاطب في توضيح الحقائق والالتزام بالحجّة والتّأثير النّفسيّ: ﴿.. وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف:١٢. ويزداد ذلك وضوحاً إذا لاحظنا أنّ وصف القرآن بالعربيّ جاء في القسم المكّيّ من السُّوَر فقط، الأمر الّذي يؤكّد التّفسير القائل بأنّ قضيّة التّغيير كانت منظورة في ذلك، لأنّ المرحلة المكّيّة هي مرحلة تأسيس القاعدة وانطلاق التّغيير.

موجز في التّفسير

سورةُ «فُصّلت»

من دروس «المركز الإسلامي»

*** السُّورة الحادية والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «غافر».**

*** آياتُها أربعٌ وخمسون، وهي مكّيّة، يُعطى قارئها بعدد كلّ حرف منها عشرَ حسنات، كما في الرّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.**

*** سُمِّيتْ بـ «فُصِّلتْ» لقوله عزّ وجلّ في الآية الثّالثة منها: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ..﴾، وتسمّى «حم السّجدة»، لأنّها تبدأ بـ (حم) وفيها سجدةٌ واجبة.**

*** إحدى السّور العزائم الأربع، آية السّجدة الواجبة فيها هي الآية السّابعة والثّلاثون.**

قال في (تفسير القمّيّ): «﴿..فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، أي بُيِّن حلالُها، وحرامُها، وأحكامُها، وسننُها». وفي (مجمع البحرين) للطّريحي: «أي جُعِلتْ فصولاً آيةً آية وسورةً سورة، أو فُرّقت في التّنزيل فلم تنزل جملةً واحدة».

محتوى السُّورة

«**تفسير الميزان**»: تتكلّم السّورة حول إعراضهم [المشركين] عن الكتاب المُنزل عليهم وهو القرآن الكريم، فهو الغرض الأصليّ، ولذلك ترى طائف الكلام يطوف حوله ويبتدئ به ثمّ يعود إليه فصلاً بعد فصل، فقد افتتح بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الآية:٢، ثمّ قيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ..﴾ الآية:٢٦، وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ..﴾ الآية:٤٠، وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ..﴾ الآية:٤١، وقيل -وهو في خاتمة الكلام: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ..﴾ الآية:٥٢.

ولازمُ إعراضهم عن كتاب الله، عزّ وجلّ، إنكارُ الأصول الثّلاثة التي هي أساس دعوته الحقّة، وهي: الوحدانيّة، والنّبوّة، والمعاد، فبسطت [السّورة] الكلامَ فيها، وضمّنتْه التّبشيرَ والإنذار.

***

«**تفسير الأمثل**»: سورة «فُصِّلتْ» من السّور المكّيّة، وهي بذلك لا تخرج في مضامينها الأساسيّة عن مثيلاتها، بل تعكس في محتواها كاملَ خصائص السّور المكّيّة؛ من تأكيد المعارف الإسلاميّة التي تتّصل بالعقيدة، وبالحساب والجزاء، والوعيد والإنذار، وبالبشرى للّذين آمنوا. وبشكلٍ عامٍّ، يمكن الحديث عن محتويات السّورة من خلال الخطوط العريضة الآتية:

أوّلاً: التّركيز على موضوع القرآن وما يتّصل به من بحوث، كالإشارة الصّريحة إلى حاكميّة القرآن في جميع الأدوار والعصور، وصيانته من أيّ تحريف، وقوّة منطقه وتماسكه بحيث إنّ أعداء الله يخشَون حتّى الاستماع إلى آياته، بل ويمنعون النّاس من مجرّد الإنصات إليه.

ثانياً: إثارة قضيّة خلْق السّماء والأرض، خاصّة ما يتعلّق ببداية العالم الّذي خُلق من مادّة «الدّخان»، ثمّ مراحل نشوء الكرة الأرضيّة، والجبال، والنّباتات، والحيوانات.

ثالثاً: في السّورة ثمّة إشاراتٌ إلى عاقبة الأقوام المغرورين الأشقياء من الأُمم السّابقة، مثل قوم عاد وثمود، وهناك إشارة قصيرة إلى قصّة النّبيّ موسى عليه السلام.

رابعاً: تتضمّن السّورة تهديد المشركين وإنذار الكافرين، مع ذكر آيات القيامة وما يتعلّق بشهادة أعضاء جسم الإنسان عليه، وتوبيخ الله تبارك وتعالى لأمثال هؤلاء.

خامساً: تتناول السّورة قسماً من أدلّة البعث والقيامة وخصوصيّاتهما.

سادساً: المواعظ والنّصائح المختلفة الّتي تبعث في الرّوح الحياةَ من خلال الدّعوة إلى الاستقامة في طريق الحقّ، وتوجيه المؤمن نحو أسلوب التّعامل المنطقيّ مع الأعداء، وكيفيّة هدايتهم نحو الله تعالى.

سابعاً: تنتهي السّورة ببحثٍ لطيفٍ قصيرٍ عن آيات الآفاق والأنفُس، وتعود كرّة أخرى إلى قضيّة المعاد.

ثواب تلاوة السّورة

«تفسير مجمع البيان»: رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن قرأ حم السّجدة أُعطي بعدد كلّ حرفٍ منها عشرَ حسنات».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «من قرأ (حم السّجدة) كانت له نوراً يومَ القيامة مُدَّ بصَره وسروراً، وعاش في هذه الدّنيا مغبوطاً محموداً».

«ثواب الأعمال»: عن الإمام الصّادق عليه السلام في صفة «الحواميم»، أي السّوَر القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿حمٓ﴾، وسورة فصّلت إحداها: «الحواميمُ رياحينُ القرآن، فإذا قرأتموها فاحمَدوا الله واشكروه كثيراً لحفظها وتلاوتها، إنّ العبدَ لَيقومُ ويقرأُ الحواميمَ فيخرجُ من فِيهِ أطيبُ من المسكِ الأذْفَرِ والعنبر، وإنّ اللهَ عزّ وجلّ لَيرحمُ تاليها وقاريها ويرحمُ جيرانَه وأصدقاءَه ومعارفَه وكلَّ حميمٍ وقريبٍ له، وإنّه في القيامة يستغفرُ له العرشُ والكرسيُّ وملائكةُ الله المقرّبون».

تفسير آيات منها

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله عليه.

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾: فصّلت:١.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «وأمّا حم، فمعناه الحميد المجيد».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فصلت:١١.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن شواهدِ خلْقه خلقُ السّماواتِ موطَّداتٍ بلا عَمَد، قائماتٍ بلا سَنَد، دعاهنّ فأجبْنَ طائعاتٍ مُذعناتٍ، غيرَ مُتلكِّئاتٍ ولا مُبْطئاتٍ، ولولا إقرارُهنّ له بالرّبوبيّة وإذعانُهنّ له بالطَّواعيّة لَما جعَلَهنّ موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته، ولا مَصعداً للكَلِم الطَّيّبِ والعمل الصّالح من خلْقه».

قوله تعالى: ﴿..وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا..﴾ فصّلت:١٢.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «النّجوم أمانٌ لأهلِ السّماء، فإذا ذهبت النّجومُ ذهبَ أهلُ السّماء، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرض، فإذا ذهبَ أهلُ بيتي ذهبَ أهلُ الأرض».

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً..﴾ فصّلت:١٥.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «واتّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا ﴿..مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً..﴾، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، ومِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ».

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ..﴾ فصّلت:٢٢.

* الإمام الباقر عليه السلام: «وليستْ تشهدُ الجوارحُ على مؤمنٍ، إنّما تشهدُ على مَن حقّتْ عليه كلمةُ العذاب، فأمّا المؤمنُ فيُعطى كتابَه بيمينه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ..﴾ فصّلت:٣٠.

* الإمام الصّادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «استقاموا على الأئمّة واحداً بعد واحدٍ».

قوله تعالى: ﴿..وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ..﴾ فصّلت:٣١.

* سئل الإمام الصّادق عليه السلام: هل في الجنّة غناء؟ فقال: «إنّ في الجنّةِ شجراً يأمرُ اللهُ رياحَها فتهبُّ، فتضربُ تلك الشّجرةَ بأصواتٍ لم يسمع الخلايقُ مثلَها حُسْناً». ثمّ قال عليه السلام: «هذا عوضٌ لمنْ ترك السّماعَ للغناء في الدّنيا مخافةَ الله».

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟..﴾ فصّلت:٣٥.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ مَن صبرَ صبرَ قليلاً، وإنّ مَن جَزِعَ جزِعَ قليلاً».

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ..﴾ فصّلت:٣٦.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا وسْوسَ الشّيطانُ إلى أحدِكم فلْيستعِذْ بالله، ولْيَقُل: آمنتُ بالله مخلصاً له الدّين».

قوله تعالى: ﴿..لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ..﴾ فصّلت:٣٧.

* عنهم عليهم السلام: «يقول في سجدة العزائم: لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلّا الله عبوديّةً ورقّاً، سجدتُ لك يا ربِّ تعبُّداً ورقّاً لا مُستنكفاً ولا مستكبراً بل أنا عبدٌ ذليلٌ خائفٌ مستجير. ثمّ يرفع رأسه، ثمّ يكبّر».

قوله تعالى: ﴿..أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ فصّلت:٤٠.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «قال الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، لا أجمعُ على عبدي خوفَين، ولا أجمعُ له أمنَين، فإذا أمِنَني في الدُّنيا أخفتُه في الآخرة يومَ القيامة، وإذا خافني في الدُّنيا آمنتُه يومَ القيامة».